تنسيق الزهـــور

للدكتور أحمـــد موسى

ليس من الغريب أن يكون تنسيق الزهور فناً ، ولكن الغريب أن يتصور البعض أن الأزاهير وما يتعلق بتنسيقها لا يهم إلا فريقاً معيناً من الناس ؛ والحق هو أن هـذا الفن الذى قد يبدو ضئيلا عند النظرة الأولى يهم كل مثقف وكل متعلم ، لأن الاستمتاع بمرأى الزهر فى أكمل وأجل صورة له من شأن الراغب فى التذوق ، ولا يوجد مثقف أو متعلم لا يرغب فى هذا التذوق ! .

والتذوق فى ذاته لا يتم إلا بدراية الفن ولو فى أبسط معانيه وصوره ، لذلك نعنى فى هذا المقال بإيضاح الموضوع بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة التى تتلخص فى فهم الوسائل والطرق التى يسير الناس عليها فى تنسيق الزهور فى بيوتهم وفى حجرات جلوسهم وغرف استقبال ضيوفهم ، ينظرون إليها على اعتبارها جزءاً متمماً للجو البيتى الذى ينشدون فيه الجمال .

ولتذوق جمال الزهر تاريخه القديم وتاريخه المتوسط وتاريخه الحديث ، ولكننا لسنا فى مجال تاريخ الفن فى هـذه المرة وإنما نحن فى معرض تذوق جمال الزهر نتيجة تنسيقه ؛ فإذا رجعنا إلى معابد المصريين ومقابر ملوكهم رأينا عجباً ، ففى ممفيس وطيبه ودندره وأبى دوس وغيرها مناظر تسجل افتتان المصريين بالزهر وإمعانهم فى تنسيقه .

ولا يقل الحال شأناً عند الإغريق الذين اتخذوا من وحدات الزهر والنبات مادة لزخارفهم ونقوش مبانيهم ، والرومان من بعدهم لم يكونوا أقل اهتماماً من أسلافهم .

والمستعرض للفن الإسلامى يجد فيه الكنوز الحافلة بما يسجل عشق المسلمين للأزاهير ، وفى أشعارهم القدر الكافى مما يؤيد ذلك ، وحتى فى غزلياتهم كانوا يقتبسون من حسن توام الغصن ولون الزهر صفات طبقوها على المحبوب اعترافاً منهم بما للأزاهير من جمال وبهاء .

فكأننا أمام موضوع له خطره وله قيمته ! وعليه فلا بد لنا من أن نعرف كيف نحب الزهر وكيف ننسقه ثم كيف نحافظ عليه منتعشاً أطول مدة ممكنة .

والذى يجب أن نعرفه مبدئياً أنه لا يشترط لجمال الزهور بادية فى أجل وضع لها أن تكون سيقانها موضوعة داخل زهرية جميلة فى ذاتها ، أو قيمة من ناحيتها المادية ، ذلك لأن من الجائز جداً أن تكون المشكاة بسيطة التكوين قليلة الألوان ليس فيها ما يبهر النظر ، ومع هذا تكون مناسبة لإبراز معالم جمال الزهر ولفت حاسة الانتباه إليه ، وهذه مسألة فاتت الكثيرين الذين يضعون الزهر فى مشكاة ثمينة رائعة الألوان ؛ فيطغى جمال الصناعة على جمال الطبيعة ، ويكون الإعجاب والاستمتاع موزعاً .

وربما كانت أبسط القواعد لمعرفة طبائع الزهر وأنواعه وعلاقة لونه بتأثيره فى مكان أو ركن معين من البيت خير رائد لنا للوصول إلى الغاية .

ش١ — رى البستان ، عن صورة جانطية بإحدى مقابر طيبه — الدولة الحديثة

فما لا شك فيه أن لون الحائط خلف الزهرية ولون المائدة وكذلك لون الزهرية نفسها ، كل هذه الألوان متجمعة تلعب دوراً هاماً فى إظهار الورود والزهور فى أجل صورة وأقوى وضع لها ، أو على النقيض تبعد النظر عنها وتضعف من قيمتها .

هذا إلى جانب الدور العظيم الذى يلعبه الضوء بقوته حيناً وضعفه حيناً آخر ، إلى جانب وقوعه على الزهر مباشرة أو انحرافه عنه .

وإذا كان لون الحائط والمائدة ، والنور وزاوية وقوعه على الأزهار ذات أثر بالغ ، فما لا نزاع فيه أن مساحة الحجرة ومساحة المكان المخصص للأزاهير لا يمكن إغفالها ، وهذا معناه أنه لا يجوز وضع مجموعة كبيرة من الزهور فى حجرة صغيرة والعكس بالعكس .

وعلى ذلك تكون القاعدة الأولى هى التنسيق والتناسب مع المكان وليست غنى المظهر ، وأنت تعلم أن شقة حجراتها معدودة فى نظام فنى ، خير من مبنى متسع الأرجاء لا نظام فيه ولا ارتباط بين أثاثه .

وربما كان من الضروري أن نذكر أنه لابد من اختيار الأزهار ذات الألوان المنسجمة مع طراز الأثاث ولونه ، وهذا القول وإن بدا على شيء من الغرابة فإنه صحيح ، فإذا وضعت زهر عباد الشمس وهو شديد الصفرة متوهجاً ، داخل حجرة أثاثها من خشب القرو وهو ذو لون باهت أقرب إلى الصفرة ، فإنك تجد هذه الزهور الجميلة فاترة ضعيفة على الفور ، على نقيض وضع هذه الزهور نفسها في حجرة أثاثها من خشب الماهوني الداكن اللون ، على مائدة تعلوها سجادة داكنة أيضاً ، على أن تكون بالحجرة نافذة كبيرة يدخل منها نور قوي .

ولتكوين سيقان الزهر وطولها قيمته الفنية ، وللسيقان وطولها علاقة وثيقة مع الزهرية ، فلا ينبغي وضع أزهار ذات سيقان رفيعة قصيرة في مشكاة طويلة واسعة .

وليس من الغريب أن يكون قانون التماثل أو التناظر أو ما يسمونه « قانون السيمترى » باطل الأثر بالنسبة إلى فن تنسيق الزهور ، بل إن الخضوع له وتطبيقه يؤديان إلى التقليل من الجمال المظهري لها ، لما ينطوي عليهما من وجوب وضع زهريتين متشابهتين في مكانين متقابلين وما يؤدي إليه هذا من التكرار الممل

ولكل وقت من أوقات النهار ما يناسبه من الزهر ، فعلى مائدة الإفطار ذات المفارش الخاصة بها يمكن وضع زهر الجرونيا أو منقار الغرنوق Geranium والأقحوان أو كحلة الجنائن Calendulas والتيولب أو الخزامى Tulips والنستوريوم أو زهر أبو خنجر Nasturiums ، وهي أنواع إذا نظرت إليها وجدت أن تأثيرها على المشاهد ينحصر في وضعها متقاربة غير منثورة في الزهرية ، على حين يناسب مائدة الغداء خليط من مختلف ألوان الزهر يوضع في زهرية واطئة أشبه شيء بطبق ، بحيث لا يحول بين وجوه الجالسين حول المائدة ، هذا فضلا عن عدم قابلية الطبق للسقوط على المائدة أو ميله على أحد جوانبه عند أقل حركة أثناء الجلوس أو القيام . أما الأزهار الملائمة لمائدة العشاء فهذه تكون عادة ذات أغصان طويلة رقيقة تمتد رؤوسها إلى أعلى وليس إلى اليمين أو اليسار فيتخللها النور الساقط من المصابيح المثبتة بسقف الغرفة فتبدو في أروع مظهر ، على أنه لا ينبغي أن تكون متعددة الألوان ، ولعل الورود أحسن من غيرها في هذه الحالة .

ومما لا ينبغي الوقوع فيه وضع بعض الأوراق أو الأغصان على المفرش سواء أكان العشاء لأصحاب البيت أو لزائريهم . وقد رأينا البعض يضع لوحاً من البلور أو زهرية أمام مرآة المشجب وهذا لا غبار عليه ، ما دامت الأزهار لا تمتد كثيراً إلى أعلى فتحجب المرآة . ولون الزهرية وموضوع اختياره من المشاكل الجديرة بالدرس ، فالثابت أننا إذا نظرنا في ضوء الشمس الساطع إلى الأزهار ذات اللون الأحمر والأزرق والأصفر وإلى جانبها جميعاً اللون الأخضر وهو لون الورق والأغصان والحدائق والحقول ، فإنها عندئذ تبدو في حلتها الطبيعية ، حالة كونها تبدو على نقيض ذلك في النور الخافت نهاراً والضوء الضعيف ليلا ، ونجد أن لونها ليس طبيعياً ، وعلى ذلك يجب مراعاة هذه العوامل عند التنسيق . واللون الأصفر مما يناسب معظم الحجرات والأماكن ، وهذا هو السر في أن معظم العارفين يتخيرون الكالندولا أو كحلة الجنائن في غالب الأحوال ، على حين نجد أن الزهور الزرقاء مجردة عن رونقها في الأركان القليلة النور ، وهذا لا يمنع من اعتبارها جميلة ذات تأثير محبب إلى النفس متى وضعت بالقرب من شباك يدخل منه النور القوي ، أما في الليل فهي تفقد رونقها وتبدو كالحة اللون رمادية أو سنجابية .

ش ٢ — سيدة جالسة إلى جانب شباكها المنسق بالأغصان والأزاهير

على أن أوراق الشجر وأغصان الزهر تلعب دوراً هاماً بوضعها إلى جانبها ، فالالتفات إلى إيجاد الانسجام بين هذه الأوراق

والأغصان وبين الأزهار نفسها أمر لا مناص منه . فوضع الورق الأخضر الداكن إلى جانب الأزهار الباهتة يميت لونها ، كما أن وضع الورق الباهت إلى الزاهى من الأزاهير يضعف من رونقها

وكأننا أمام قاعدة ثابتة تتلخص فى وضع اللون السمنى إلى جانب الأحمر الدافئ ، واللون الأبيض إلى جانب الرمادى . واللون الوردى إلى جانب الأبيض !

ومما لا يحتاج إلى بيان أن ذوى الذوق الجميل يجدون الفرصة مواتية للتصرف حسب ما يمليه الذوق عليهم ، فتكون لديهم المقدرة على حذف زهرة وإضافة أخرى أكثر انسجاماً . هذا إلى جانب مايكتسبه المرء من المران والاختبار للوصول إلى الغاية المثلى .

مما تقدم يمكن أن نصل إلى القول بأنه إذا أريد تنسيق بعض الأوراق الخضر مع زهر الأحمر والأصفر والأبيض فإنه يجب والحالة هذه الاعتناء التام باختيار الموضع الملائم لكل منها فى الزهرية ، ذلك لأنك إذا وضعت الأزاهير الحمراء حول المجموعة تجد أن النظر لا ينتقل منها إلى الأزاهير الداخلية بل ينصرف عنها إلى خارجها لشدة لونه وقوة شخصيته .

ش ٣ — أنموذج للانشاء الفنى لتنسيق الزهر

ومن بين الأزهار ما يبدو فى أجمل صورة له عند ما يكون مستقلا قائماً بنفسه إذ استغنينا بضع أوراق خضر تعين الشاهد على التركيز النظرى . والزهور كائن حى رقيق الحس ولذلك لامناص من معرفة بعض القواعد عن كيفية قطفها ومعاملتها والمحافظة عليها أطول مدة ممكنة فيطول بذلك أمد الاستمتاع بها .

فأنسب وقت لقطفها وقت بزوغ ألوان الفجر أو عند الصباح الباكر وقتما تكون قطرات الندى قد رصعت تيجانها وبدت فوقها كحبات اللؤلؤ . أما القطف فلا يكون كما اتفق بل نلاحظ فيه أن تكون السيقان طويلة بقدر الإمكان ليمكن تنسيقها حسب الإرادة ووفقاً لعمق الزهريات التى ستوضع فيها والأوانى المخصصة لها.

كما ينبغى عدم تجريدها كلية من أوراقها تمهيداً لتنسيقها . والقطف لا يكون قاصراً على الزهور المفتحة فحسب بل يجب أن يشتمل على درجات النضوج الثلاث وهى بدء التفتح وتوسطه وكماله ، كما أن من الأوفق كثيراً استخدام المقص المخصص لهذا الغرض أو على الأقل استعمال سكين حادة ، على أن يكون المقص أو القطع مائلا كثيراً بقدر المستطاع وليس قصاً أو قطعاً أفقياً وذلك لتمكين ساق الزهر من امتصاص الماء وهو غذاؤه داخل الزهرية .

وأول عمل تجريه عند وصول الزهور إلى البيت هو غمرها فى الماء البارد داخل إناء كبير يتسع لها دون ثنيها أو كسرها بحيث يصل الماء قمة العنق ، مع تركها بعض الوقت بحالتها هذه فى مكان قليل النور رطب الهواء بقدر المستطاع .

ولا يتسع المجال لذكر كل أنواع الزهور ومعالجتها بالوصف الخاص — والإجمال لا يخل بالموضوع ما دمنا نستعرض أكثر الزهور استعمالا ، فزهر الخنجر Gladiolus يقطع بمجرد بدء الزهرة التانية على الساق فى التفتح ، لأن البقية تتفتح بعدئذ فى ماء الزهرية خلال الأسبوع الذى تعيشه فى البيت . وعندما يلاحظ أثناء تغيير الماء — وهو أمر لازم يومياً — أن نهاية السيقان قد أصبحت ليفة ازجة ، فإن الضرورة تقضى بقص هذه النهاية بعد عصر الساق .

أما زهرة الداليا Dahlia فهى من الزهور الطويلة العمر إذا قطفت عند ما يقرب تفتحها من الكمال ويكون القطف فوق الوصلة مباشرة حتى تكون الساق مفتوحة من أسفلها ، فلا تقابل الماء عقبة أثناء صروره للتغذية .

وفصيلة السوسن أو الزنبق Irises تقطع عند ما يبدأ أول زر فى التفتح ، وذلك لأن التى قد تفتحت يوماً أو يومين قبل القطع تكون قصيرة العمر .

والورود تقطع بسيقان طويلة بقدر الإمكان ، بعد ترك جزء

من ساقها فى الأرض لاستكمال نموه . ويضع بعض المغرمين بالأزاهير قطعة من الفحم النباتى فى قاع الوعاء ليكون الماء عذباً أطول مدة ممكنة . وهناك فريق يضع قرصاً من الاسبرين لإنعاش الزهر . وغير هؤلاء وهؤلاء نجد من يمزج فنجاناً من السكر على لتر ماء توضع فيه زهور الكريزانتيم فتظل حافظة نضارتها أسبوعاً كاملاً .

أما ضرورة قص أطراف السيقان يومياً إكمالاً لعملية تغيير الماء فهذه مسألة يعرفها معظم الناس ولكن هناك ما يدعو إلى التنبيه وهو أن عملية القص يجب أن تجرى تحت حنفية الماء مفتوحة يتدفق ماؤها على السيقان حتى يحول هذا العمل دون دخول الهواء إلى ساق الزهر فيقضى عليه . ولا يصح وضع الكثير من الزهور فى زهرية ضيقة العنق لأنها بهذه الكيفية تختنق إذ لا يمر الهواء من بينها ولا يستطيع الماء الوصول إلى قممها .

وأنواع الزهريات كثيرة وألوانها متباينة وطرزها بين قديم وحديث لا حصر لها ، فالعبرة بحسن الاختيار والتفرقة بين ألوان الزهر وبين ألوان الزهريات ووضع ما يلائم واحدة منها فى مكانها المناسب لها . وكلما كانت الزهور رقيقة كانت الأوعية الزجاجية الرفيعة أكثر صلاحية لها .

والفن داخل البيوت موضوع قديم عند كل الأمم المتمدينة وإن يكن حديث عهد فى بلادنا ، وهو فى وقتنا الحاضر يتلخص فى البساطة والبعد عن الزخرفة والزركشة والازدحام ، مما أدّى إلى الاستعانة بالزهر على تجميل البيوت ، التى إن عرفنا كيف نجملها لما احتملنا البعد عنها .

ويستعين العارفون بما يسمونه « الماسك » أو القابض على سيقان الزهر للربط بينها لتظل فى وضعها المرغوب ، وغير هذا توجد قطع مستديرة من البلور ذات ثقوب ، وهذه القطع توضع فى قاع الزهرية التى تكون عادة متسعة العنق أو على هيئة طبق ذى قطر كبير ، وذلك لتثبيت السيقان فى أوضاعها المختارة بوضع نهاياتها السفلى فى تلك الثقوب . ويلعب الرمل النظيف دوراً هاماً فى المساعدة على تنسيق الزهر ، فبوضعه فى قاع الزهرية يعين على التثبيت ، فضلا عن أنه لا يعوق وصول الماء إلى السيقان لتغذية الزهر الذى يكون غالباً من النوع الرقيق القصير كزهرة البانسى Pansies والفيوليا ويسمونها زهرة الثالوث وهما من فصيلة البنفسج ، وزهرة الزعفران Crocusé وزنبق الوادى Lillies Of The Valley . على أنه لا ينبغى أن يبدو الرمل ظاهراً أمام عينى المشاهد .

ومما نحسد عليه بلادنا العزيزة أن الزهر لا ينقطع طوال أيام العام على حين نجده فى أوربا نادراً لا سيما فى الشتاء القارس . والعقبة التى تصادف هواة الزهر فى الأقطار الشرقية هى سرعة ذبوله فى الأوقات الحارة ، ولكنا إذا عالجناه كما ينبغى أمكن البقاء عليه مدة كافية .

وكقاعدة عامة نقول أنه كلما قل الزهر عدداً وحسن تنسيقه كلما كان مظهره بسيطاً جميلا . والعجيب أن نجد الفنان اليابانى يأبى إلا أن يسير على هذه القاعدة ؛ فتراه حتى فى لوحاته المصورة لا يأبه إلا بغصنين أو غصنين تحلو كلا منهما زهرتان ، يصورها فى أروع ما يكون من الجمال وحسن التنسيق وإبداع الإنشاء الفنى

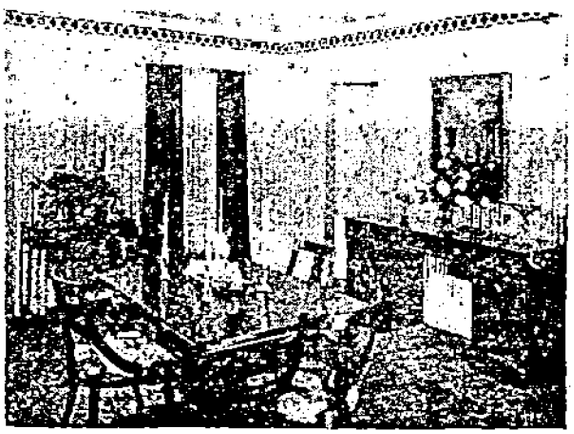

ش ٤ — حجرة الطعام وقد ازدانت بمجموعات ثلاث من مختلف الازاهير

وإذا كان القارىء من المحظوظين الذين يمتلكون بستاناً ، فإن عليه أن يختار الأغصان ذات الانثناءات ، فهى فى الزهرية تكون رشيقة كالحسناء ذات القوام المشوق ، وتبدو الأغصان مائلة بعضها نحو بعض كأنها تتحدث حديث حب وغرام .

فأغصان الرمان المزهر وأغصان الليلك (لعلى) Lilac والكمثرى لها تكوين ساحر خلاب يحمل أزاهير يانعة رقيقة إن تأملتها عن كثب زدت إعجاباً بقدرة الخالق وعلمت بأن الطبيعة هى أم الفن وأننا مهما أوتينا من العلم فلن نصل إلى قطرة من ذلك الخضم اللانهائى

أحمد موسى